



شبكة الاقتصاديين العراقيين

IRAQI ECONOMISTS NETWORK
www.iraqieconomists.net

اوراق في الجدل الاقتصادي

د. بارق شبر*: انظمة الحكم السياسي السابقة في العراق بين الحنين إلى الماضي والتحليل الاقتصادي العلمي - حوار جدلي مع الزميل د. لؤي الخطيب

المقدمة

الزميل د. لؤي الخطيب غني عن التعريف فهو منذ عام 2003 أحد النشطاء العراقيين البارزين في المهجر وكانت له علاقات وثيقة مع المعارضة العراقية في لندن، درس في الجامعات البريطانية وحصل على شهادة البكالوريوس في ادارة وهندسة المعلوماتية من جامعة كنغستون في عام 1994 وعلى شهادة الماجستير في العلوم السياسية من جامعة سالفورد في عام 2014 وحديثا على شهادة الدكتوراه في الفلسفة بموضوع سياسات الطاقة في الشرق الاوسط من جامعة اكستر. عمل في شركة شيل النفطية خلال الفترة 2004-2007 ومع شركة نفط الهلال الاماراتية المملوكة لحميد ضياء جعفر وأولاده خلال الفترة 2007-2009 كمدير اقليمي للعراق ومن ثم اسس معهد العراق للطاقة والذي يديره حاليا من لندن. له العديد من الانجازات العلمية والمهنية، من أبرزها مشاركاته العديدة في مراكز الابحاث الدولية وتنظيمه لثلاثة مؤتمرات ناجحة للطاقة في بغداد وعمان وبمشاركة دولية واسعة، وله العديد من الكتابات والدراسات العلمية باللغتين الانكليزية والعربية، ويمتلك علاقات دولية واسعة تؤهله لمنصب سفير العراق الدولي الدائم وبالأخص في أوروبا وأمريكا. وهو بجانب الدكتور علي عبد الامير علاوي (لندن) والدكتور عباس كاظم (واشنطن) أحد معدي الوثيقة السياسية المهمة "المانيفيستو" التي صدرت في نهاية عام 2017. والثلاثة هم من أبرز العقول العراقية في المهجر. ومن إيجابياته الكثيرة تفاعله الحيوي في النقاش مع الجمهور والنخب العراقية في وسائل التواصل الاجتماعي وفي



شبكة الاقتصاديين العراقيين

IRAQI ECONOMISTS NETWORK
www.iraqieconomists.net

اوراق في الجدل الاقتصادي

المنتديات الحوارية العديدة، وصراحته المعهودة في الحوار وفي ابداء رأيه من دون اي مجاملات او اعتبارات شخصية. شعاره كما ورد على موقعه في الفيس بوك "الاختلاف في الرأي لا يفسد للود قضية" والذي اقتدي به في هذه الورقة.

وفي تعليق له على فيديو من اعداد مؤسسة المدى يوضح انجازات مؤسس الجمهورية العراقية الأولى الزعيم الركن عبد الكريم قاسم خلال عهد هذه الجمهورية القصير من 14 تموز 1958 حتى 8 شباط 1963 والذي تداولته مواقع التواصل الاجتماعي فيسبوك جاء ما يلي:

"عبد الكريم قاسم، الوطني الاحمق وأهون القتلة والسيئين في تأريخ العراق الحديث. سياساته الرعناء دمرت العراق.

هذا الفيديو عبارة عن دعاية غير موفقة موجهة للطبقة التي لا تعي ابجديات الاقتصاد فضلاً عن تاريخ الاقتصاد العراقي، ومصادرة مكشوفة لإنجازات الحقبة الاخيرة للعهد الملكي بعد تسنم الملك فيصل الثاني عرش العراق والشروع بعهد الإصلاحات في ظل ولايته لقد كان اخر عقد من الحكم الملكي مختلفاً اختلافاً جذرياً عن الفترات السابقة لولا تدخل عبد الناصر في السياسة الداخلية العراقية حيث مهد الأجواء والظروف المتشنجة لانقلاب دموي توهمه بسطاء الناس ثورة شعبية:

-تأميم النفط بداه العهد الملكي بداية خمسينيات القرن المنصرم بعد ان استحوذت الحكومة العراقية على 50% من واردات شركات النفط الاحتكارية كبداية أولية للتفاوض على استكمال التأميم فيما بعد حيث ضاعفت هذه العملية واردات الدولة عام 1953 الى اربعة أضعاف.

-تشكيل مجلس الإعمار الذي خطط و نفذ لجميع المشاريع العملاقة من سدود وجسور ومستشفيات ومدارس لعقدين من الزمن والتي ادعتها حكومات قاسم والعارفين والبعث لصالحها، اذ تم تنفيذها من استراتيجيات و واردات النفط المخصصة لها من تخطيط مجلس الإعمار.



شبكة الاقتصاديين العراقيين

IRAQI ECONOMISTS NETWORK
www.iraqieconomists.net

اوراق في الجدل الاقتصادي

-تنظيم موازنة الدولة العراقية في الخمسينيات بعد اتفاقية الـ ٥٠/٥٠ في تقاسم واردات النفط مع الشركات الاحتكارية وبعد تحديد صرف واردات العراق لتكون الموازنة ٣٠% تشغيلية و ٧٠% مخصصة للمشاريع العملاقة والاستثمار حتى لا يتحول العراق الى دولة ريعية. كارثة قاسم الكبرى بعد ان أسس لعهد الدماء في عام ١٩٥٨، انه صادر الاراضي الزراعية بصورة غير علمية وبجحة التأميم ووهبها للطبقة الفلاحية التي لا عهد لها بإدارة الاعمال، فقتل الزراعة والثروة الحيوانية في العراق بحماقة قل نظيرها، حيث هاجرت الطبقة الفلاحية الارياف الى المدينة، لتنتكس المدنية والارياف في آن، وليبدأ عهد الدولة الريعية لتقتل مستقبل العراق الاقتصادي ويتحول الشعب الى فئة استهلاكية كسولة تريد كل شيء دون ناتج. لعل افضل قول ينطبق على قاسم: إياك والأحمق يريد أن ينفحك فيضرك. نسخة منه الى منتج المقطع الجنائزي، مؤسسة المدى" انتهى الاقتباس (انظر رابط الفيديو في الاسفل)

الحنين إلى فترة الحكم الملكي (1921-1958)

لا يفاجئني حنين الزميل لؤي الخطيب ودفاعه عن النظام الملكي في العراق المنهار في 1958 فهذا حقه "الدستوري" في حرية التعبير عن الرأي بجانب حقه "الشخصي" فالجميع يعلم مدى علاقاته الشخصية والتجارية القوية مع أحد العوائل الارستقراطية العراقية التي تضررت من هذا الحدث التاريخي في 14 تموز 1958. والحق يقال للتاريخ ولأجيال ما بعد 1958 ان هذه العائلة كانت من أبرز الوجوه الحضارية والتقدمية في العهد الملكي، وكان مؤسسها أول تكنوقراط عراقي درس في بريطانيا وحصل على شهادة راقية في الهندسة وتبوأ مناصب وزارية مهمة في العهد الملكي، وهو بطل تحقيق مناصفة الإرباح وليس الإيرادات مع الشركات النفطية الاحتكارية، حيث استفاد من تجربة فنزويلا و المملكة العربية السعودية التي سبقت العراق في



شبكة الاقتصاديين العراقيين

IRAQI ECONOMISTS NETWORK
www.iraqieconomists.net

اوراق في الجدل الاقتصادي

هذا المضمار، وزار مؤسسها عبد العزيز آل سعود ليستفيد من تجربة السعودية التفاوضية كما ورد في مذكراته. ضياء جعفر هو أيضا من حاول التصدي لاحتكار ملاكي الاراضي الاقطاعيين في استيراد المضخات الزراعية من خلال تأسيس شركة عامة تستورد المضخات وتبيعها على المزارعين المتوسطين والصغار، إلا ان نوري السعيد استجاب إلى ضغوطات الاقطاعيين وألغى الشركة. وهو أيضا وبجانب الرائد الصناعي فتاح باشا أول من حاول ادخال التصنيع الرأسمالي الحديث إلى العراق بتأسيسه لأول مصنع للنسيج القطني في مدينة الكاظمية كشركة مساهمة وكان الوصي عبد الاله بجانب نوري السعيد أحد المساهمين فيها ولذلك عرف باسم (معمل الوصي) بالقرب من ساحة عدن الحالية.

الزميل لؤي هو ليس الوحيد في حنينه للحكم الملكي بالرغم من انه في تقديري لم يعايش هذه الفترة وانما ولد بعد 1958. توجد حاليا شريحة واسعة من المنقذين العراقيين تحن إلى الماضي الملكي وتنتشر الصور والفيديوهات الجميلة عن هذه الحقبة في الانترنت وفي مواقع التواصل الاجتماعي. هذه الصور تبين جزءاً صغيراً من الحقيقة وهو الجانب الوردي لهذه الفترة والذي اختزلت العراق بحياة الناس في مركز العاصمة بغداد وحياة الارستقراطية العراقية، وأهملت حياة الناس الفقراء في أطراف المدينة المليئة بالعشوائيات مثل منطقة خلف السدة والاقضية والنواحي المجاورة للعاصمة بغداد، كما أهملت حياة سكان الريف من المزارعين الذي كانوا يعيشون في ظل علاقات الانتاج الاقطاعية، كالأقنان وفق وصف المؤرخ السوسيولوجي على الوردي، والتي أجبرتهم على الهروب من الريف إلى المدينة قبل عام 1958 بسنوات عديدة.

انجازات واخفاقات النظام الملكي

تتطلب الموضوعية من الباحث العلمي الرصين تحليل الايجابيات والسلبيات لأنظمة الحكم السابقة في العراق، والاستفادة من تجاربها من أجل بناء الدولة الحديثة والحوكمة الرشيدة.



شبكة الاقتصاديين العراقيين

IRAQI ECONOMISTS NETWORK
www.iraqieconomists.net

اوراق في الجدل الاقتصادي

والحق يقال فإن الحكم الملكي وبفعل الاستعمار البريطاني حقق انجازات تاريخية مهمة في مقدمتها إنهاء فترة الحكم العثماني الظلامي المتخلف وتأسيسه للدولة العراقية ومؤسساتها الحديثة في عام 1921. المثقفون المتأدلجون يدعون ان تأسيس الدولة العراقية تم بعد انتصار الشعب العراقي في ثورة العشرين على الاستعمار البريطاني. المؤرخون والأكاديميون اختلفوا في تقييم أسباب وأهداف ونتائج ثورة العشرين ويقولون إنها كبدت الاستعمار البريطاني خسائر مالية فادحة احدثت تدمر لدى دافع الضريبة البريطاني، وفرضت على الاستعمار البريطاني تغيير سياسته تجاه العراق من الحكم الاستعماري المباشر إلى الحكم غير المباشر، اذن الاسباب كانت اقتصادية محضة. ومن الواضح للعيان أن الاستعمار البريطاني استعمل مجموعة ما يسمى بالضباط الشرفيين (ضباط عراقيين سابقين في الجيش التركي وقعوا في قبضة المحتل البريطاني للعراق) كأداة لتنفيذ سياستهم الجديدة وعلى رأسهم نوري السعيد. (انظر كتابات علي الوردي لمحات اجتماعية من تاريخ العراق وكتاب الدكتور عباس كاظم عن ثورة 1920 وسلسلة الافلام الوثائقية "العراق في قرن" التي تبثها قناة الحرة عراق كل يوم أحد).

الموضوعية تتطلب منا أيضاً ان نشهد للعهد الملكي بأنه وبفعل الاستعمار البريطاني حقق للعراق أعظم الانجازات التاريخية في إدخال الحداثة إلى العراق وأهم عناصرها، وهو النظام التعليمي الحديث. وهذا لم يأتي حياً بسواد عيون العراقيين وانما أتى كضرورة تاريخية حتمية مع انتشار علاقات الانتاج الرأسمالية من المركز في أوروبا وأمريكا إلى الأطراف في العالم الثالث. تاريخياً برزت الحاجة الملحة لأيادي العمل المتعلمة والماهرة ولكوادر الدولة البيروقراطية بعد الثورة الصناعية الأولى وظهور الدولة القومية في أوروبا الرأسمالية.

ومن الواضح للعيان إن النظام التعليمي الجديد في العراق فتح آفاق وفرص جديدة وواعدة لشرائح اجتماعية في أسفل السلم الاجتماعي إلى الصعود إلى الاعلى ووُلد أعداد كبيرة من المتعلمين



شبكة الاقتصاديين العراقيين

IRAQI ECONOMISTS NETWORK
www.iraqieconomists.net

اوراق في الجدل الاقتصادي

والمتمورين خلال ثلاثينيات واربعينيات القرن العشرين في العراق. ويقدر الباحث الأكاديمي الأستاذ في الجامعة الامريكية في السليمانية. الدكتور عقيل عباس ارتفاع عدد المتعلمين من بضعة آلاف خلال الحكم العثماني إلى مئات الالاف (انظر المسلسل الوثائقي العراق في قرن، قناة الحرة عراق). وبفضل النظام التعليمي الحديث ونظام البعثات الدراسية إلى أوروبا وامريكا ظهر جيل البناء الأول، كما وصفهم الباحث والكاتب السوسولوجي د. ابراهيم الحيدري. وكانت طليعة هذا الجيل رواد العلوم والمعرفة والصناعة في العراق من امثال ضياء جعفر، محمد حديد وفتاح باشا وعلي الوردى وفرحان باقر ومحمد سلمان حسن وابراهيم كبة وفاصل الجبلي وعباس النصراوي وعبد الجبار عبدالله ومهدي المخزومي وعشرات آخرين لا تحضرني اسمائهم. وبجانب هؤلاء العقول خرّج النظام التعليمي الحديث جيشاً من ابناء الطبقة الوسطى المتعلمة والتي عانت من التهميش الاقتصادي والسياسي بفعل السياسات الحمقاء لنوري السعيد والوصي عبد الاله خلال الحقبة الاخيرة من الحكم الملكي والتي يمجدها الزميل الخطيب.

في هذه الفترة بالتحديد جرت انتخابات نيابية عام 1954 ونجحت احزاب الطبقة الوسطى المعارضة في الحصول على حوالي 10 مقاعد، إلا ان نوري السعيد الذي كان في حينه رئيس الوزراء انزعج من ذلك وأمر بإلغاء الانتخابات وبحل مجلس النواب. فهل توجد في السياسة الحديثة حماقة أكثر من ذلك. وتجدر الإشارة إلى ان المملكة الاردنية الهاشمية ومملكة المغرب استفادوا من اخطاء نوري السعيد القاتلة من خلال احتواء تذر الطبقة الوسطى وإشراكها بفتات من الكعكة. منطق البحث السوسولوجي والسياسي العلمي يقول إن النظام الملكي وبخطواته التقدمية في تأسيس نظام تعليمي حديث مهد لتغيرات اجتماعية واقتصادية وسياسة عاصفة، لم يتمكن الساسة التقليديون بفلسفتهم للحكم بالعصا الغليظة ومن دون جزرة ادارتها الصحيحة وبذلك حفر النظام قبره بنفسه. وهذه هي الحتمية التاريخية التي انتهت النظام الملكي الهاشمي في العراق وليس مؤامرات عبد الناصر التي استمرت في عهد الزعيم عبد الكريم قاسم وبشكل



شبكة الاقتصاديين العراقيين

IRAQI ECONOMISTS NETWORK
www.iraqieconomists.net

اوراق في الجدل الاقتصادي

مضاعف ولعبت دورا حاسما في اجهاض المشروع الوطني العراقي لصالح ايدولوجية الوحدة العربية العقيمة.

الدور الاقتصادي للنفط في العهد الملكي وظهور الدولة الربعية

يشيد الزميل الخطيب بإنجاز الحكم الملكي في حقبة الاخيرة بأنه بدأ بعملية تأميم النفط من خلال استحواد الحكومة على 50% من إيرادات الشركات الاحتكارية في بداية خمسينيات القرن الماضي. المقصود بذلك اتفاقية عام 1952 والتي تقضي بمناصفة الأرباح بين العراق والشركات النفطية والتي سبق لفنزويلا تحقيقها في منتصف الاربعينيات والسعودية في بداية الخمسينيات (د. علي مرزا، 2013). الاعتراض المهني على هذه المعلومة هو انها تمثل نصف الحقيقة. المناصفة تمت على أساس تقسيم ربح الشركات النفطية الاحتكارية وليس على أساس إيراداتها (أنظر ابراهيم علاوي، 1967، صفحة 25 وكذلك علي مرزا المصدر السابق). كما اكد لي هذه المعلومة المؤرخ النفطي الاستاذ غانم العناز في رسالة شخصية)، أي ان حساب المدخول العراقي يتم بعد ان تخصم الشركات النفطية تكاليفها من إيرادات بيع النفط والتي لم يكن للعراق اي امكانية لمراقبتها وتدقيقها والحيلة الكبرى في الموضوع هي أن سعر بيع النفط الخام كان مفروضا من الشركات الاحتكارية تحت مسمى (Posted Price)، اذ لم تكن في ذلك الحين سوق نفطية دولية موجودة في الواقع والتي ظهرت بعد عام 1973. الشركات النفطية الاحتكارية كانت هي التي تنتج وتبيع المنتج لنفسها ولذلك سميت "بالعاهرات السبعة". وان كانت هذه الحيلة انطلقت في حينها على ساسة العهد الملكي فأستغرب كيف انها تتطلي على خبير نفطي ذكي وله اهتمامات اقتصادية مثل الدكتور لؤي الخطيب.



شبكة الاقتصاديين العراقيين

IRAQI ECONOMISTS NETWORK
www.iraqieconomists.net

اوراق في الجدل الاقتصادي

اعتراضي الثاني هو أنه صحيح بأن عائدات الحكومة العراقية من شركات النفط ارتفعت ولكن ليس بالمقدار الذي ورد في مداخلته بحدود اربعة اضعاف في سنة 1953. وفق الأرقام التي وردت في بحث الاقتصادي العراقي السيد عادل عبد المهدي الموسوم "الدولة الريعية- حاجز امام التنمية المستدامة" والمنشور على موقع شبكة الاقتصاديين العراقيين، ارتفعت عادات العراق النفطية من 1,33 مليون باون استرليني في عام 1952 إلى 3,55 مليون باون في عام 1953 اي بمقدار ضعفين ونصف. اما الباحث ابراهيم علاوي فيشير في كتابه القيم المذكور اعلاه (جدول رقم 18، صفحة 107) إلى ان عوائد الحكومة النفطية ارتفعت من 38 مليون دينار إلى 51 مليون دينار خلال نفس الفترة. ومن المثير للاهتمام ان نسبة العائد النفطي إلى إجمالي إيرادات الحكومة ارتفعت خلال نفس الفترة من 50% إلى 61% كما ورد في نفس الجدول، مما يعزز مقولة الباحث الاقتصادي القدير د. علي مرزا بأن الدولة الريعية بدأت في هذه الفترة، اي فترة الحكم الملكي وليس بعد ذلك كما يوحي به الزميل الخطيب ضمنيا. (علي مرزا المصدر السابق). والنصف الآخر من الحقيقة الأخرى المفقودة هو ان ارتفاع العائدات النفطية العراقية خلال الفترة المذكورة جاء في اعقاب ارتفاع الانتاج من 18 مليون طن طويل في عام 1952 إلى أكثر من 27 مليون طن طويل في عام 1953، أي بنسبة 50 بالمائة. واستمر هذا الارتفاع حتى عام 1958 ليسجل حوالي 35 مليون طن طويل (بارق شبر، رسالة الدكتوراه، جامعة ماربورغ، 1980، جدول رقم 3، صفحة 44).

اما قضية تأسيس وانجازات مجلس الاعمار فلقد جعل منها مناصري الملكية اسطورة ومعجزة في التطور الاقتصادي في العراق، وهي لم تعد سوى سرديّة صغيرة لتوجهات الحكومة الامريكية بعد الحرب العالمية الثانية بصفتها الدولة القائدة للعالم الرأسمالي نحو دول العالم الثالث في إطار التنافس مع الدول الاشتراكية والحرب الباردة مع الاتحاد السوفيتي السابق والصين الشعبية. وكل هذا تم تحت عنوان "السياسات التنموية ومساعدات التنمية" برعاية البنك الدولي وصندوق



شبكة الاقتصاديين العراقيين

IRAQI ECONOMISTS NETWORK
www.iraqieconomists.net

اوراق في الجدل الاقتصادي

النقد الدولي، ولا يسمح المجال هنا لمناقشة مدى نجاح او فشل هذه السياسات التنموية المزعومة، علما اني املاك تجربة مهنية في مجال التعاون الانمائي الدولي على مدى اكثر من عشرين عاماً . تأسس مجلس الاعمار في عام 1950 والمكون من ستة اعضاء عراقيين واثنان اجانب، الأول ممثل عن البنك الدولي والثاني عن صندوق النقد الدولي. وتم تخصيص 70% من عائدات النفط للاستثمار لتمويل المشاريع التنموية. صحيح أن المجلس كلف شركات استشارية دولية مثل أرثر دي لتل في اعداد خطط تنموية استراتيجية على مدى عشرين عاما كما يذكر الزميل الخطيب، ولكن ماذا تنفع هذه الخطط والاستراتيجيات في حالة بقائها على الرفوف، كما شاهدنا ذلك بعد عام 2008 حيث صدرت عشرات الاستراتيجيات وبقيت حبراً على ورق. ولكن الحق يقال فقد تم تنفيذ بعض المشاريع في البنى التحتية وفي مقدمتها بعض السدود والجسور والطرق في مجال ما يسمى بالبنى التحتية الفيزيائية (Physical Infrastructure) والتي يكون مردودها على المستوى المعيشي للناس بطيئاً وغير مباشر على عكس البنى التحتية الاجتماعية (Social Infrastructure) في ميدان الرعاية الصحية والتعليم وبناء السكن والرعاية الاجتماعية للأطفال والشباب والمرأة وكبار السن، فضلا عن التنمية الريفية ومحو الامية. فلم يتم تنفيذ مثل هذا النوع من المشاريع سوى النزر القليل وبقي الريف متخلفا تحت هيمنة الاقطاع الجائر مما تسبب في موجات من هجرة الفلاحين إلى المدينة في صرايف من البواري انتشرت في العاصمة على ما يسمى "بالقع البيضاء"، اي الاراضي غير المبنية بعد في المناطق السكنية بجانب التجمعات العشوائية مثل منطقة خلف السدة والتي كانت تهز ضمير الزعيم عبد الكريم قاسم.

يذكر الباحث الاقتصادي القدير ابراهيم علاوى ان مجموع إنفاق مجلس الاعمار على المشاريع التنموية خلال الفترة 1951-1955 بلغ 79 مليون دينار فقط. توزع الإنفاق على الاسكان والمباني والمواصلات بنسبة 31% وعلى الزراعة والصناعة بنسبة 46% ومصروفات اخرى



شبكة الاقتصاديين العراقيين

IRAQI ECONOMISTS NETWORK
www.iraqieconomists.net

اوراق في الجدل الاقتصادي

بنسبة 23%. وبعد سقوط النظام الملكي ارتفع إجمالي الانفاق إلى 99 مليون دينار خلال الفترة 1959-1961 وإلى 247 مليون دينار خلال الفترة 1962-1966. اذن العبرة في التنفيذ كما نحن والزميل لؤي الخطيب نطالب الحكومات الحالية بعد 2003 بفعل ذلك.

الانهيار السياسي للنظام الملكي

في مقابل انجازات العهد الملكي الشحيحة والتي تعد على الاصابع خلال فترة 37 عاما من حكمه (1921-1958) من السهولة بمكان اعداد قائمة طويلة بإخفاقاته وفي مقدمتها فشل النظام في تجاوز الشرخ الاجتماعي العميق وبناء الامة العراقية المندمجة اقتصاديا واجتماعيا وذلك باعتراف الملك فيصل الأول في مذكرته المشهورة المؤرخة في 15 آذار 1935 والذي حاول بإخلاص تحقيق الوئام الوطني في ظل تناقضات اقتصادية واجتماعية شديدة (انظر د. علي مرزا، 2013). وبعد رحيله المبكر وتولي ملك غازي العرش تزايدت التناقضات الاجتماعية والسياسية وتحولت الساحة السياسية إلى مرتع للنشاط القومي العروبي المتأثر بالنازية الالمانية والفاشية الايطالية وبرعاية الملك غازي واذاعته الترويجية للأفكار القومية الشوفينية من قصر الزهور. تفاقمت الاوضاع السياسية وحدث اول انقلاب عسكري في المنطقة وهو انقلاب بكر صدقي في عام 1936، ثم تلاه بعد فترة قصيرة وفي عام 1941 انقلاب العقداء الاربعة وبقيادة رشيد عالي الكيلاني الموالي لألمانيا النازية.

من مهام الباحث الاقتصادي والاجتماعي هو السؤال عن الخلفية الاجتماعية والمصالح الاقتصادية للقوى التي تقوم بالتغيرات السياسية في اي بلد، ان كان ذلك ثورة او انقلاب. اذن السؤال المهم هو من كان عبد الكريم قاسم ومن هم رفاقه في مجموعة الضباط الاحرار. في بداية سبعينيات القرن الماضي عندما كنت احضر للحصول على شهادة التخرج الجامعية في



شبكة الاقتصاديين العراقيين

IRAQI ECONOMISTS NETWORK
www.iraqieconomists.net

اوراق في الجدل الاقتصادي

علم الاقتصاد الكلي اخترت السوسولوجيا (علم الاجتماع) كفرع اختياري في الامتحان النهائي. وقدمت بحثاً عن الوظيفة الاجتماعية لطبقة الضباط في مجتمعات الشرق الاوسط في خمسينيات وستينيات القرن الماضي وتوصلت إلى القناعة الفكرية بأن الضباط يمثلون اليد العسكرية الضاربة للطبقة الوسطى الناشئة حديثاً. وهذا كان واقع الحال في العراق خلال العهد الملكي وما بعده حتى استيلاء صدام حسين على السلطة في عام 1979 وتجييره للجيش لأهدافه الحزبية والشخصية.

مجموعة الضباط الاحرار كانت خليطاً هجيناً من ابناء الطبقة الوسطى المهمشة اقتصادياً وسياسياً خلال فترة الحكم الملكي. في تقديري، كانت الاغلبية مؤدلجة بشعارات القومية والوحدة العربية ومنبهة بشخصية عبد الناصر الديماغوجية والذي كسب قلوب الجماهير العربية بعد العدوان الثلاثي على مصر في عام 1956 على إثر تأميم قناة السويس كرد فعل على سياسات الغرب المتشددة والحمقاء تجاه طموحات الجمهورية المصرية التنموية. عبد الكريم قاسم كان يترأس المجموعة بحكم رتبته العسكرية ولكن كان في الاقلية بما يخص الرؤيا المستقبلية لعراق ما بعد الملكية ويختلف تماما عن اغلبية الضباط الاخرين. وبطبيعة الحال عكس هذا الاختلاف الانشقاق الايديولوجي داخل الطبقة الوسطى العراقية آنذاك. وبالرغم من الخلافات نجح عبد الكريم قاسم في تنفيذ خطته بالتعاون مع الضباط عبد السلام عارف الذي كانت رتبته العسكرية اقل من عبد الكريم قاسم، لذا كان يخضع لأوامره العسكرية. يقول المؤرخون إن عبد السلام عارف هو أول من دخل العاصمة بغداد في فجر 14 تموز 1958 ونفذ مجزرة قصر الرحاب على العائلة المالكة، في حين بقي عبد الكريم قاسم مع لوائه في الخلف لحماية رفيقه. كما يقول المؤرخون ان تصفية العائلة المالكة الجسدية لم يكن مخططاً له من قبل مجموعة الضباط الاحرار وانما كان تصرف فردي لعبد السلام عارف.



شبكة الاقتصاديين العراقيين

IRAQI ECONOMISTS NETWORK
www.iraqieconomists.net

اوراق في الجدل الاقتصادي

صحيح ان الحدث التاريخي الحتمي في 14 تموز بدأ كانقلاب عسكري ولكنه لقي الدعم الفوري من شرائح واسعة في المجتمع العراقي واهمها الطبقة الوسطى والمتقنين واحزابهم السياسية والجماهير الفقيرة والمعدمة التي كانت تسكن في العشوائيات والصرايف في العاصمة وفي المحافظات وبطبيعة الحال جماهير الفلاحين. واتذكر جيدا ان السلطة الجديدة فقدت السيطرة على الشارع الذي استولت عليه المجاميع الغوغائية الكبيرة والتي قامت بأعمال عنف يندى لها الجبين، من قبيل التمثيل بجثة الوصي عبد الإله ورئيس الوزراء السابق نوري السعيد. وهنا لا ارغب في التوسع في هذا الملف الحزين والاشكالي والذي اصبح موضوع اتهامات متبادلة حول استعمال العنف كوسيلة سياسية بين احزاب الطبقة الوسطى المنقسمة والمتصارعة واشير الى كتاب فاضل العزاوي الموسوم " الروح الحية لجيل الستينيات" والذي قرأته قبل اكثر من عشرين عاما ثم هربته الى اصدقائي داخل العراق خلال فترة حكم صدام حسين في حدود عام 2000. للاسف لم يعد هذا الكتاب التاريخي القيم متوفرا في الاسواق .

الانجازات الاقتصادية للجمهورية الفتية

الفيديو موضوع الخلاف والذي وصفه الزميل الخطيب بأنه دعاية غير موفقة موجهة للطبقة التي لا تعي ابديات الاقتصاد فضلاً عن تاريخ الاقتصاد العراقي، ينسب بالفعل كل الانجازات الاقتصادية والاجتماعية المشهود لها تاريخيا، ولا يمكن انكارها، إلى شخص الزعيم عبد الكريم قاسم. وهنا أبدي تحفظي على ذلك واتفهم جزئيا نقد الزميل الخطيب. في حقيقة الأمر أن الزعيم عبد الكريم كان له الدور القيادي والفضل الكبير في تحقيق كل هذه الإنجازات خلال فترة قياسية من الزمن. ولكن لم يكن هو الوحيد في ساحة البناء والاعمار، بل كان معه جيل البناء الذي اشرت اليه سابقا، واستمر عمل مجلس الاعمار وتم تطويره إلى وزارة الاعمار وإلى وزارة التخطيط والتي وسَّعت مهامها وانفتحت على التعاون مع دول كانت ممنوعة من التعامل معها



شبكة الاقتصاديين العراقيين

IRAQI ECONOMISTS NETWORK
www.iraqieconomists.net

اوراق في الجدل الاقتصادي

خلال فترة الحكم الملكي. كان الزعيم يعمل مع طاقم من الوزراء التكنوقراط ومن ذوي الكفاءات العالية مثل الدكتور ابراهيم كبة ومحمد حديد ونزيهة الدليمي، أول امرأة تتبوأ هذا المنصب في العالم العربي، فضلا عن العديد من الخبراء والمستشارين الاقتصاديين والمهندسين والصناعيين والذين تم ملاحقتهم وتهجيرهم إلى الخارج بعد انقلاب 1963 وبعد تأميمات الصناعات الوطنية في عام 1964.

الباحث الاقتصادي القدير الزميل د. علي مرزا يقدم لنا في بحثه المشار إليه سابقا تقييماً موضوعياً للوضع الاقتصادي في الجمهورية العراقية الفتية كآتي:
"ومنذ تموز 1958 ساد توجُّه أوسع في تحقيق العدالة الاجتماعية. وشمل هذا التوجه توزيع الأراضي الزراعية الذي كان ايذاناً بزوال النفوذ السياسي لملاك الأراضي الزراعية بعد أن أزلت زيادة عوائد النفط نفوذهم الاقتصادي منذ بداية الخمسينات. وأمتد إلى تشجيع الحركة الصناعية وإسناد الطبقة المتوسطة الصناعية والتجارية. من ناحية أخرى لم تتغير آنيًا مؤسسية مجلس ووزارة الأعمار أو حتى نسب توزيع العوائد النفطية بين الأعمار والإنفاق الجاري. إذ أستمِر كل من مجلس ووزارة الأعمار باسم مجلس ووزارة التخطيط في العهد الجديد. ولقد تم رسم خطة ("مؤقتة") أثناء العهد الجمهوري لزيادة الإنفاق على البنية الأساسية ورأس المال الاجتماعي مع استمرار العمل وفق منهج ومشروعات مجلس الأعمار. ومع استمرار العمل مرحلياً بقاعدة 30/70% (علي مرزا، المصدر السابق، صفحة 3).

مؤشرات الاقتصاد الكلي المتوفرة تدعم فرضيتي بتحسّن أداء الاقتصاد العراقي وتحسّن المستوى المعيشي للمواطن العراقي. ارتفعت وتيرة نمو الناتج المحلي الإجمالي خلال الفترة 1958 - 1961 إلى 8,15% سنويًا بالمقارنة مع 6,23% خلال الفترة 1953 - 1958. كما بلغ معدل نمو الدخل الوطني خلال الفترة 1958-1961 حوالي 9% بالمقارنة مع 6,7% خلال



شبكة الاقتصاديين العراقيين

IRAQI ECONOMISTS NETWORK
www.iraqieconomists.net

اوراق في الجدل الاقتصادي

الفترة 1953-1958 ومعدل النمو في نصيب الفرد في الدخل الوطني 5,7 % بالمقارنة مع 3,7% خلال الفترة ذاتها. (فاضل عباس مهدي، دار الطليعة بيروت 1977، صفحة 10-16).

الزعيم عبد الكريم قاسم بين تقديس الشخصية والرمزية الاخلاقية

بعد حسم الصراع على السلطة بين الزعيم عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف، الذي كان يريد فرض الوحدة الفورية للعراق مع مصر، ظهرت توجهات في الشارع العراقي لتمجيد (عبادة) شخصية الزعيم. أول هذه البوادر بدأ بها جمهور الحزب الشيوعي العراقي في مسيرة 1 أيار 1959 المليونية، والتي ظهر فيها وبشكل مفاجئ الهتاف التالي "عاش زعيמי عبد الكريمي، حزب الشيوعي بالحكم مطلب عظيمي" ومن ثم شعار "الزعيم الأوحد" وحكايات خرافية في الاوساط الشعبية عن ظهور صورة الزعيم على القمر. ومن جانب آخر كان أعداء الوضع الجديد يروجون لصور معاكسة من قبيل "قاسم العراق" والدكتاتور المتفرد بالسلطة.

من وجهة نظري الزعيم عبد الكريم قاسم لم يكن معصوما من الاخطاء، وأشار تقييم الدكتور فاضل الجليبي، أطال الله عمره، في البرنامج الوثائقي (بين زمنين) للإعلامي الراحل احمد المهنا الذي بثته قناة ابو ظبي في عام 2001 او 2002 على ما اذكر، لخطأ الزعيم القاتل وهو فتح جبهات حرب عديدة ضد اعدائه في آن واحد، ابتداءً من الاقطاعيين المتخلفين الذين تحالفوا مع المتآمرين عليه من الضباط البعثيين والقوميين في مجموعة الضباط الاحرار والذين كانوا يريدون تسليم العراق لعبد الناصر من منطلقات ايديولوجية عقيمة، مروراً بحركة تمرد الزعيم الكردي القبلي ملا مصطفى البرزاني ومن ثم شركات النفط الاحتكارية بعد اصدار قانون رقم 80 واخيراً وليس اخراً فتح الجبهة مع الكويت. ومن المؤسف كان موقف المرجعية الشيعية للسيد محسن



شبكة الاقتصاديين العراقيين

IRAQI ECONOMISTS NETWORK
www.iraqieconomists.net

اوراق في الجدل الاقتصادي

الحكيم في النجف آنذاك سلبيا من الجمهورية الفتية ومن إجراءاتها الإصلاحية في القطاع الزراعي. وعلى عكس المرجعية الحالية للسيد علي السيستاني، تخلت المرجعية السابقة عن جمهورها من فقراء الشيعة والفلاحين لصالح ملاكي الأرض الكبار الاقطاعيين والذي، وعلى ما يبدو، كانوا يمولون المرجعية بالخمس والذي لا يعرف أحد مصيره.

نحن مريدو الزعيم الخالد عبد الكريم قاسم لسنا بصدد تقديس شخصيته ولكن بصدد تقييم تاريخي منصف لإنجازاته ولأسلوب حكمه الرشيد. وبالرغم من كل اخطائه لا يمكن لأحد انكار حقيقة انجازاته الاقتصادية الإيجابية الكثيرة خلال فترة قياسية من الزمن، لم يقدمها اي قائد للعراق قبله او بعده، وبالرغم من مرور أكثر من خمسين عاما على قتله. كما لا يمكن لاحد انكار فلسفة واسلوب الزعيم في الحكم التي اتسمت بالصدق والنزاهة والتسامح ونكران الذات وحب الوطن والفقراء. هذه هي فلسفة حكم الخليفة الراشد الرابع والشخصية التاريخية الفذة الامام علي ابن طالب عليه السلام. كلمة حق يجب ان تقال وهي أن الزعيم كان يقتدي بفلسفة حكم الامام علي بالرغم من انه كان مترفعاً عن الانتماءات الطائفية والمذهبية والحزبية وكان يحافظ على علاقات متوازنة مع ممثلين الطوائف الاسلامية والمسيحية. هذا على عكس بعض الساسة الحاليين الفاسدين والذين يتاجرون باسم الامام علي وبالتشيع كذبا وبهتاناً.

بعد مقتل الزعيم في انقلاب 8 شباط 1963 المشؤم عان العراقيون من ويلات فلسفة الحكم الميكافيلي والتي تبرر الغدر والكذب والقتل بالجملة وكل الوسائل القذرة للحفاظ على الحكم. ونحن في احياء ذكرى استشهاده نصبوا نحو اظهار الحقيقة وهي الرمزية الاخلاقية الكبيرة ورمزية الحكم النزيه والرشيد التي جسدها هذا القائد العراقي الوطني الأصيل، وجسد بتضحياته المشروع الوطني العراقي الأصيل. هذا التجسيد يعكس آمال العراقيين في وقتنا الراهن، حيث يغرق العراق بعد اكثر من خمسين عاما على قتله في مستنقع الفساد الحكومي والاجتماعي وانهييار منظومة



شبكة الاقتصاديين العراقيين

IRAQI ECONOMISTS NETWORK
www.iraqieconomists.net

اوراق في الجدل الاقتصادي

القيم الاخلاقية وانتشار الكذب والنفاق وهيمنة قانون الغاب حيث يحارب الكل ضد الكل كما شخص ذلك الفيلسوف البريطاني توماس هوبز (1588 - 1679) قبل حوالي 500 عام في مجتمعه انذاك واقترح في كتابه "الليفيثان" العقد الاجتماعي، اي سيادة القانون والدولة القوية. فأين نحن وبعد اكثر من خمسين عاما على مقتل الزعيم عبد الكريم قاسم من ذلك؟ نرى بأمرنا كيف يرتفع النفاق السياسي إلى السماء وتتعالى اصوات المزيادات من معظم المشاركين في العملية السياسية على مشروع الزعيم الوطني العراقي ، ومن سخرية القدر فان البعض منهم شارك بشكل مباشر وغير مباشر في قتل الزعيم الخالد ولم يعتذر لحد الآن على فعلته النكراء .

اتوقع ان يثير القارئ الكريم السؤال المشروع التالي: ولماذا سقطت الجمهورية العراقية الاولى وقائدها بالرغم من انجازاتها الكثيرة وشعبيتها الواسعة بين الجماهير الفقيرة والمعدمة؟ وهل كان ذلك حتمية تاريخية كما هو الحال مع النظام الملكي؟ أميل إلى الجواب بنعم؛ الانهيار عكس حتمية تاريخية وللأسباب التالية:

- لقد كان مشروع الزعيم عبد الكريم قاسم الوطني سابق لأوانه في ظل الشرخ الاجتماعي، الذي شخصه الزميل د. علي مرزا، والموجود منذ تأسيس الدولة العراقية حتى يومنا هذا وبحدة أكبر بعد التغيير في عام 2003 ، ولم يتمكن النظام الملكي ولا النظام الجمهوري الاول ولا العارفين ولا البعثيين والقوميين ولا صدام حسين من تجاوزه. العراق يحتاج الى جيلين واستقرار سياسي واقتصادي لتجاوز هذا الشرخ، والشرط الاساسي هو بقاء العراق مفتوحا على العالم وحركة التطور الاقتصادي والتكنولوجي والعلمي والثقافي في بقية الامم.
- الجماهير الشعبية المؤيدة للنظام الجمهوري الجديد بحكم تحسن اوضاعها المعيشية لم تكن تملك الوعي الوطني الكافي والعميق بسبب انتماءاتها العشائرية والقبلية. الزعيم



شبكة الاقتصاديين العراقيين

IRAQI ECONOMISTS NETWORK
www.iraqieconomists.net

اوراق في الجدل الاقتصادي

- عبد الكريم قاسم كان يرفض تنظيم وتسليح انصاره من الجماهير الشعبية، وكان دائماً يردد مقولته الشهيرة "انا فوق الميول والاتجاهات الحزبية" ويرفض تأسيس حزب له. وكان يراهن على ولاء الجيش للعهد الجديد وابعاده عن السياسة.
- الطبقة الوسطى كانت ولازالت تتشكل بغالبيتها من موظفين ومهنيين وتجار ومتقنين واقلية من الصناعيين المنتجين. اي ان هذه الطبقة كانت في اغليتها تملك ميول ريعية وتعتاش على الدولة الريعية التي برزت في اواسط خمسينيات القرن الماضي، أي خلال فترة الحكم الملكي كما تمت الاشارة اليه سابقاً. هذه الطبقة لم تكن تملك مصالح اقتصادية منسجمة ومتداخلة، ولذلك كانت متأثرة بالأيديولوجيات اليسارية والقومية ومنقسمة على نفسها ومتحاربة مع بعضها حتى في داخل البيوتات والعشائر والطوائف والعائلة الواحدة.
 - المحيط الاقليمي المعادي للنظام الجديد الذي كان شبه محاصراً من إيران الشاه وتركيا العضو في الناتو وجمهورية عبد الناصر الوندوية والمملكة الاردنية الهاشمية ومن ثم الكويت والدول الخليجية.
 - أخطاء الزعيم التي أشرت إليها سابقاً، وهي فتح جبهات حرب عديدة في آن واحد.
- (*) مستشار اقتصادي دولي سابق، مؤسس شبكة الاقتصاديين العراقيين والمنسق العام لها.

المصادر والروابط التي لها صلة بالموضوع

رابط فيديو مؤسسة المدى

<https://www.facebook.com/bschuber/videos/10155966927039303/>



شبكة الاقتصاديين العراقيين

IRAQI ECONOMISTS NETWORK
www.iraqieconomists.net

اوراق في الجدل الاقتصادي

وثيقة المانيفيستو

<http://www.manifestogroup.org/sites/default/files/Ara%20v14%20Iraq%20Manifesto.pdf>

السيرة الذاتية للزميل د. لؤي الخطيب

<https://www.linkedin.com/in/luay-al-khatteeb-41387955/>

د. علي مرزا: العراق: الواقع والآفاق الاقتصادية - الفرص الضائعة وتخمينات المستقبل. ورقة بحثية قدمت للمؤتمر العلمي الأول لشبكة الاقتصاديين العراقيين، 30 آذار - 1 نيسان 2013، بيروت، فندق هولندي ان، والمنشورة على موقع الشبكة

<http://iraqieconomists.net/ar/2013/04/13/%d8%af-%d8%b9%d9%84-%d9%85%d9%8a%d8%b1%d8%b2%d8%a7-%d8%a7%d9%84%d8%b9%d8%b1%d8%a7%d9%82-%d8%a7%d9%84%d9%88%d8%a7%d9%82%d8%b9-%d9%88%d8%a7%d9%84%d8%a2%d9%81%d8%a7%d9%82-%d8%a7%d9%84%d8%a7%d9%82/>

عادل عبد المهدي: الدولة الربعية.. حاجز أساس امام التنمية المستدامة

<http://iraqieconomists.net/ar/2013/04/13/%d8%b9%d8%a7%d8%af%d9%84-%d8%b9%d8%a8%d8%af-%d8%a7%d9%84%d9%85%d9%87%d8%af%d9%8a-%d8%a7%d9%84%d8%af%d9%88%d9%84%d8%a9-%d8%a7%d9%84%d8%b1%d9%8a%d8%b9%d9%8a%d8%a9-%d8%ad%d8%a7%d8%ac%d8%b2-%d8%a7/>

ابراهيم علاوي: البترول العراقي والتحرر الوطني. دار الطليعة، بيروت 1967

بارق شبر: رسالة الدكتوراه، باللغة الالمانية العوامل الكابحة والمحفة لعملية تراكم رأس المال في الدول المصدرة للنفط الخام - العراق نموذجاً. جامعة ماربورغ (المانيا الغربية سابقاً)، 1980



شبكة الاقتصاديين العراقيين

IRAQI ECONOMISTS NETWORK
www.iraqieconomists.net

اوراق في الجدل الاقتصادي

<http://iraqieconomists.net/en/2015/06/03/der-entwicklungsweg-des-irak-blockierung-und-entfaltung-des-akkumulationsprozesses-in-einem-erdolexportierenden-land/>

الدكتور فاضل عباس مهدي: التنمية الاقتصادية والتخطيط في العراق 1960-1970. دار الطليعة، بيروت 1977

حقوق النشر محفوظة لشبكة الاقتصاديين العراقيين. يسمح بأعادة النشر بشرط الاشارة الى المصدر. برلين 22 شباط/ فبراير 2018